تجربة الكشف الصّوفيّ عند القابالاه اليهوديّة: النّصوص الرّؤيويّة منطلقا

د. نزار صميدة

أستاذ مساعد في أصول الدّين بالمعهد العالي للعلوم الإسلاميّة بالقيروان جامعة الزّيتونة- تونس

الملخص

إنّ الميزة الأساسيّة للتّصوّف اليهوديّ وتحديدا التّيار القبالي منه – وفق كثير من الدّارسين – هي كونه يمثّل اتّجاها غنوصيّا قويا يغلب عليه النّمط الحلوليّ الّذي يحاول فيه المتصوّف اليهوديّ فهم(كشف) حقيقة وطبيعة الإله والكون من خلال التّأمّل والعرفان. والحقيقة أنّ هذا الكشف والجليان هو مفهوم مركزيّ في القبالاه اليهوديّة استلهمته من النّصوص الرّؤيويّة (Les Apocalypses) في الكتاب المقدّس وجعلتها منطلقا لها في مقولاتها فقد تعلّق الفكر القباليّ وتأثّر أصحابه بالأفكار والنّصوص الرُّؤيويّة، فثمّة أمور كثيرة تؤكّد هذا التّأثّر، أوّلها المواضيع الأساسيّة الّتي يُعالجها الفكر القباليّ في كتاباته مثل "سيفر هيخلاوت" (كتاب الهياكل) و"مدراش كونين" (التّفسير الصّحيح) و"شعور قوما" (رفعة الشّأن). فهي كتب تصف عالم أو مركبة العرش الإلهيّ، فالموضوع المركزيّ في الفكر القباليّ هو ما يُعرف بفلسفة "المركباه" "Merkaba" أو مركبة العرش الإلهيّ وكذلك عالم الملائكة بِتَرَاتُبِيَّتِهِ الهرميّة، وهي مواضيع كشفيّة جليانيّة رُؤيويّة بامتياز. وهذا نلمسه أيضا من خلال "الزّوهار" "Zohar" الكتاب المقدّس للقابالاه سواء من خلال تسميته أو حتى من خلال محتواه، ونعاينه كذلك في التوغّلات الصوفيّة الأسطوريّة الباطنيّة للقابّالاه اليهودية في العقيدة المشيحانيّة الّتي هي مبحث رئيس في الرؤيويات الكتابيّة فقد ارتبطت الحركات المشيحانيّة دائمًا بالتّصوّف الحلوليّ وتراث القابّالاه. إنّ كلّ ما ذكرنا يجعل من النّصّ الرّؤيويّ الكتابيّ منطلقا لتجربة الكشف الصّوفيّ عند القابالاه اليهوديّة وهو ما ستسعى هذه الورقة العلميّة لطرحه وشرحه.

الكلمات المفاتيح: التّصوّف اليهوديّ | القابالاه | الكشف الصّوفيّ | النّصوص الرّؤيويّة

Abstract

According to many scholars, the primary advantage of Jewish mysticism - specifically the Kabbalitic stream of it - is that it represents a strong Gnostic trend dominated by the palaeolithic pattern in which the Jewish mystic attempts to understand (reveal) the truth and nature of the God and the universe through reflection and gratitude. And the fact that this revelation is a central concept in the Jewish Kabbala is inspired by visionary texts (Apocalypses) in the Bible, and made it a starting point. Kabbalitic thought was attached and influenced by visionary ideas and

texts. They describe the world or vehicle of the divine throne. The central theme of tribal thought is what is known as the philosophy of the "Merkaba" or the vehicle of the divine throne, as well as the world of angels with its hierarchies, which are distinctively visionary glacial scouts. This is also felt by the Zohar Bible of the Qabalah, both by its nomenclature and even by its content. We also see it in the mythical Sufi invasions of Judaism in the Messianism faith, which is a Main Search in Biblical visions. All that we have mentioned makes the Apocalyptic Biblical text a starting point for experimenting with mystical revelations at Jewish titles, which this scientific paper will seek to present and explain.

Key words**: **Jewish mysticism, Kabbala, mystical revelation, visionary texts.

المقدّمة

يعتبر التّصوّف تيّارا روحيّا عابرا للتّاريخ والحضارات والأديان فلا تكاد تخلو ديانة أو نحلة من عناصر تجربة روحيّة رسّخها هذا التّيار، ولعلّ الجامع الأساسيّ بين كلّ التّجارب الصّوفيّة في مختلف الدّيانات هو عنصر الكشف فهذا المفهوم هو مفهوم مركزيّ في أيّ تجربة روحيّة صوفيّة، وتجربة التّصوّف القبالي هي تجربة فريدة من ضمن هذه التّجارب لذا كان الكشف فيها مطلب كلّ قبالي، ولأجل كلّ هذا حاول القباليون تلمّس كلّ ما يمكن أن يكون منطلقا وأساسا لتجربة الكشف الصّوفيّ عندهم فكان اهتمامهم بالنّصوص الرّؤيويّة باعتبارها نصوصا ذات مضامين جليانيّة وإعلانيّة، فأيّ فعل وأيّ تأثير مارسته هذه النّصوص على العقل القباليّ؟

دواعي اختيار موضوع البحث

- **لماذا التّركيز على تجربة الكشف الصّوفيّ عند القابّالاه في علاقة بالنّصوص الرّؤيويّة؟**

في الحقيقة ما دفعني إلى اختيار هذا الموضوع هو اشتغالي في بحث سابق على النّصوص الرّؤيويّة الكتابيّة وأثرها في صياغة وتشكيل الفكر الدّينيّ اليهوديّ عن الله والعالم والأخرويات وغير ذلك من المسائل الّتي شكّلت أيضا محاور اهتمام وتباحث القباليين في قسم كبير من أعمالهم.

يضاف إلى ذلك الرّغبة في تسليط الضّوء على طبيعة تجربة الكشف الصّوفيّ عند القابّالاه اليهوديّة وخصائصها المميّزة مع بيان مركزيّة مفهوم الكشف في تجربة الكشف الصّوفيّ إجمالا .

إشكاليّة البحث

هل تأثّر الفكر القبالي فعلا بالنّصوص الرّؤيويّة في تجربة الكشف الصّوفيّ؟

ما هي ملامح هذا التّأثّر؟

المنهج المعتمد في البحث

اعتمدت في هذا البحث على منهجين أساسيين الأوّل هو المنهج الاستقرائيّ وقد قمت بتوظيفه في استقراء وبيان الخصائص العامّة لتجربة الكشف الصّوفيّ عند القابالاه.

والمنهج الثّاني هو المنهج التّحليليّ المقارن الّذي حاولت من خلاله بيان مؤيّدات نهل الفكر القباليّ من النّصّ الرّؤيويّ والإفادة من مضامينه الكشفيّة والجليانيّة في صوغ وتشكيل عناصر تجربة الكشف الصّوفي اليهوديّ.

خطّة البحث

المقدّمة

المبحث الأوّل: مركزيّة تجربة الكشف في التّصوّف القباليّ

1- دلالات الكشف الصّوفيّ وأبعاده

2- الكشف الصّوفيّ القباليّ مواضيعه ومصادره

المبحث الثّاني: الإعلان والجليان في النّصوص الرّؤيويّة منطلقان لتجربة الكشف الصوّفيّة القباليّة

1- النّصوص الرّؤيويّة وخصائصها.

2- الجليان الرّؤيويّ وأثره في الكشف الصّوفيّ القباليّ

الخاتمة

المبحث الأوّل: مركزيّة تجربة الكشف في التّصوّف القباليّ

1- دلالات الكشف الصّوفيّ وأبعاده:

يعدّ الكشف في المجال التّداوليّ الصّوفيّ بيانا لما يستتر على الفهم فيُكشف عنه للعبد كأنّه رأي عين، ويشترط الصّوفيّة لبلوغه التّقوى والمراقبة فهما الشّرطان الأساسيّان للكشف والمشاهدة. وقد ميّزوا بين أنواع مختلفة ومتنوّعة من الكشف:

-كشف العين الجارحة (إبصار)

- وكشف القلوب(اتّصال)

- الكشف العقليّ (المدرك بالجوهر المطلق للعقل)

- الكشف النّفسانيّ (يرتسم في النّفوس الخياليّة المطلقة زمن الرّياضات والمجاهدات المفضيّة لكشف الحجب)

- الكشف الرّوحانيّ (يكون بعد كشف الحجب العقليّة والنّفسانيّة)

– الكشف الرّبانيّ (عبر التّجلّي تنزّلا أو عروجا أو منازلات أسرار) [1]

فالكشف شيء مفعم بالأسرار لا يمكن بلوغه بالوسائل العاديّة أو المجهود العقليّ. لذلك ترتبط به التّجربة الرّوحيّة الصّوفيّة، فقد عدّه المتصوّفة مصدرا للعلم الصّحيح والنّور الإلهيّ، واعتبروا أنّ من لا كشف له لا علم له[2].

إنّ أسمى وأرقى أنواع الكشف الصّوفيّ حسب "آنا ماري شيمل" هو الكشف المطلق via illuminativa ، الّذي يوهب فيه الحبّ وتوهب فيه المعرفة الباطنيّة، وذلك لا يكون إلّا بعد وقت طويل من التّطهّر المعروف بـ: via purgativa [3].

وعلى هذا فإنّ الكشف مفهوم مركزيّ في التّجربة الرّوحيّة الصّوفيّة، وهو منّة وعطيّة إلهيّة تجعل صاحبها من العارفين، فالكشف بكلام آخر غاية ووسيلة في آن غاية ومطلب يسعى له العارف ووسيلة بها يستجلي المغيّبات.

2– الكشف الصّوفيّ القباليّ مواضيعه ومصادره

اشتقّ اسم القابّالاه "Kabbalah" من كلمة عبريّة تفيد معنى التّواتر أو القبول أو ما تلقّاه المرء عن السّلف أي التّقاليد والتّراث، ولقد كانت الكلمة في بداية الأمر تشير إلى تراث اليهوديّة الشّفهيّ المتناقل، المعروف باسم الشّريعة الشّفويّة، ولكنّها أصبحت تعني لاحقا (ق12م) أشكال التّصوّف والعلم الحاخاميّ المتطوّرة[4].

ومن المواضيع الكشفيّة الأساسيّة للقابّالاه اليهودّية ثلاثيّة (الإله|الكون|الإنسان) حيث تمثّل"القابّالاه" "Kabbalah" ، مجموعة من الحِكَمِ الباطنيّة المتعلّقة بأسرار الكون وبالإله والكائنات، وقد سمّيت أوّل ما سمّيت بـ"الحكمة المستورة" قبل أن تعرف عند اليهود

1 – العجم رفيق: موسوعة مصطلحات التّصوّف الإسلاميّ، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان. ط1، 1999م، ص790.

2 – المرجع نفسه، ص791.

3 – شيمل آنا ماري: الأبعاد الصّوفيّة في الإسلام وتاريخ التّصوّف، ترجمة محمّد إسماعيل السيّد ورضا حامد قطب، منشورات الجمل، كولونيا (ألمانيا)– بغداد، 2006م، ص8.

4 - Robert S. Ellwood /Gregory D. Alles: The Encyclopedia Of World Religions Revised Edition Facts On File, Inc. An Imprint Of InfoBase Publishing New York Copyright © 2007, 1998 by DWJ BOOKS LLC pp251-252 .

بـ"القابّالاه"، ليتشكّل بعد ذلك الفكر القباليّ اليهوديّ الغنوصيّ وينتشر في أرجاء "أوروبا". وبالإضافة إلى كونها مجموعة من التّفسيرات والتّأويلات الباطنيّة والصّوفيّة، فإنّ مدلولها الأوسع يشمل سائر المذاهب اليهوديّة الباطنيّة. ويطلق العارفون بأسرار القابّالاه (مقوباليم بالعبريّة أو القبّاليّون بالعربيّة) على أنفسهم "العارفون بالفيض الربّانيّ" ، وتراث القابّالاه تراث ضخم تمثّل في عدد من الكتب مثل: "الزّوهار" و"الباهير" وسفر "ياتسيرا" الّذي ينسبونه إلى إبراهيم عليه السّلام وغيرها، وهي كتب حلّت محلّ التّوراة والتّلمود عند القبّاليّين[1].

ورغم أنّ القابّالاه استحدثت لنفسها نصوصها الخاصّة ذات الطّابع الغنوصيّ الكشفيّ الجليانيّ، فإنّ هذه النّصوص ليست إلاّ نتاجا للتّفاعل مع التّراث اليهوديّ بمسمّياته المختلفة، وتحديدا النّصوص المقدّسة الّتي مثّلت مصدرا للكشف القابّاليّ كالتّوراة والتّلمود والأسفار الرّؤيويّة لكبار أنبياء بني إسرائيل (إشعياء وحزقيال ودانيال) المضمّنة في العهد القديم، القانونيّ منها والأبوكريفيّ.

وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ الدّارسين للتّراث القباليّ يميّزون بين تيارين أو نوعين من القابالاه أولاهما "قابالاه الزّوهار" وتسمّى أيضا "القابالاه النّبويّة" وكان اعتماد أتباعها على التّأويل الباطنيّ الغنوصيّ للنّص التّوراتيّ، وثانيتهما "القابالاه اللّوريانيّة" أو "القابالاه الماشيحانيّة" الّتي أسّسها "إسحاق لوريا" وطغت فيها فكرة الماشيح المخلّص اليهوديّ.

---

1 – انظر في هذا المسيري، عبد الوهّاب: موسوعة اليهود واليهوديّة والصّهيونيّة، دار الشّروق، القاهرة، ط.1، 1997م، 163/5–189.

والحفني، عبد المنعم: موسوعة فلاسفة ومتصوّفة اليهوديّة، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط.1، 1994م، ص 169–170.

والشّامي رشاد عبد الله: موسوعة المصطلحات الدّينيّة اليهوديّة، المكتب المصريّ للتّوزيع والمطبوعات، القاهرة، 2002م، ص 129–131). وانظر أيضًا:

– The Oxford Dictionary of the Jewish Religion, Oxford University Press, USA, 2011, 2nd Edition, p. 413-414.

-Michel Albin: Dictionnaire du Judaïsme, Paris, 1998, p. 430-442.

المبحث الثّاني: الإعلان والجليان في النّصوص الرّؤيويّة منطلقان لتجربة الكشف الصوّفيّة القباليّة

1- النّصوص الرّؤيويّة وخصائصها

يرِدُ لفظ "رؤيا" في الكتاب المقدّس 60 مرّة [1] وتُمثّل الرّؤيا في الكتاب المقدّس وسيلة الإله لإعلان إرادته وحكمه عبر ما يُعلنه فيها لأنبيائه وأتقيائه. وكلمة "الرُّؤيا" هي ترجمة لكلمة "أبوكاليبسيس" "Apocalypsis" اليونانيّة الأصل وفي الفرنسيّة أو الإنجليزيّة "Apocalypse"، وهي تعني الكشف عن الغيب، أي كشف معلومات سرّية عن أحداث المستقبل، وخصوصًا آخر الأيّام ويوم الحِساب، وذلك بطريقة فوق بشريّة عن طريق الرّؤى. وتُستخدم الكلمة للإشارة إلى الكُتب الدّينيّة اليهوديّة والمسيحيّة الّتي تحتوي على مثل هذه الرّؤى [2].

إذ تُعتبر كلمة " apocalypsis " اليونانيّة الواردة في النُّسخة اليونانيّة السّبعينيّة للكتاب المقدّس، ترجمة للفعليْن العِبريّيْن " galâh " و" hâsaph " اللّذيْن يفيد مدلولهما معنى الكشف[3].

أي أنّ الرّؤيا بهذا المعنى هي نصّ يتضمّن الكشوفات الإلهيّة لبني البشر عن نهاية العالم ويوم الحساب ومصير الأرواح بعد الموت، والعرش الإلهيّ والملائكة الحافّين به، والظّواهر الفلكيّة والكونيّة وغير ذلك [4].

وبهذا يُمكننا تمثّل مدلول مصطلح "الرّؤيا" والنّصوص الرّؤيويّة في البناء المفاهيميّ اليهوديّ، فالرّؤيا عندهم هي انكشاف شيء كان مخفيًّا، أو هي إعلانات للأسرار الإلهيّة، وهي كما يتداولها الباحثون في الكتاب المقدّس عمومًا والرّؤى الكتابيّة خصوصًا، نصّ أو جنس أدبيّ من النّصوص يزعم فيه مؤلّفه كشف الأسرار المُرتبطة بمسار العالم، وخاصّة الزّمن الأخير ونهايته.

---

1 – برنامج الكتاب المقدّس، إصدار سنة 2010م.

2 –المسيري، عبد الوهّاب محمّد: موسوعة اليهود واليهوديّة والصّهيونيّة، 280/5.

3 - Albin Michel : Dictionnaire du Judaïsme, p. 55.

4- the oxford dictionary of the Jewish religion, oxford university press, USA ,2011 2nd edition p57-58.

إنّ مصطلحي "الرّؤيا" "Apocalypse" و"الرّؤيويّة" "Apocalypticism" عند اليهود يُقدَّمان كبيان لمعنى الكشف والجليان لِما خَفيَ وغَمُضَ، ليَكْتَسيَ المصطلح بعد ذلك دلالة تقنيّة اسميّة على جنس أدبيّ معيّن من النّصوص –اليهوديّة خصوصا والكتابيّة عموما– الّتي لها خصائصها الفنيّة ومضامينها الكشفيّة والّتي أطلق عليها لاحقا النّصوص الرّؤيويّة[1].

ولو أردنا أن نجمل القول في دلالة مصطلح "رؤيويّة" "Apocalypticism" في علاقة بالنّصوص اليهوديّة لقلنا بأنّ له أربع دلالات أساسيّة: دلالة أدبيّة لكونها وصفا لجملة من الكتابات ذات الخصائص المُشتركة [2]. ودلالة لاهوتيّة لكونها نصوصا في علم الأشياء الأخيرة والأفكار الإسكاتولوجيّة، أو هي العقيدة الّتي يؤمن أصحابها بأنّ الربّ يكشف الأسرار الإلهيّة للبشر من خلال الرُّؤى، كأسرار السّماء والأرض، وله أيضا دلالة اجتماعيّة، كونها نعتا للحركات الألفيّة والتيّارات الأصوليّة ذات الخلفيّة الرُّؤيويّة[3]. أمّا الدّلالة الأخيرة فهي الدّلالة التّاريخيّة وهي كونها تصوّرا أو رؤية للعالم، تقوم على ضرورة انتهاء كلّ ما هو قديم وميلاد عالم جديد، بفعل الربّ وحده دون إسهام للبشر في ذلك [4].

وتتمثّل نصوص العهد القديم الرُّؤيويّة بالأساس في رُؤى أنبياء "بني إسرائيل" "إشعياء" و"حزقيال" و"دانيال"، فقد ضَمَّنَ هؤلاء الأنبياء في أسفارهم نصوصًا أو مقاطعَ

1 - Declor, Mathias : Les apocalypses juifs ; berg international éditeurs, Paris, 1995, p. 5.
وانظر أيضًا:
- Introduction a l'ancien testament, collection dérigé par Thomas Römer, Jean Daniel Macchi et Christophe Nihan, Editions Labor et Fides, Genève, 2009, p. 662.

2 - Collins, John, J : The apocalyptic imagination: an introduction to Jewish Apocalyptic literature, the biblical resource series, WM. B. Eerdmans, publishing CO grand rapids/ Cambridge UK, 1998, 2 nd edition, p.5.

3 - Collins, John J. : The apocalyptic Imagination: an introduction to Jewish Apocalyptic literature, p. 2..

4- Aune David Edward : apocaypticism, prophecy and magic in early Christianity, wissenscahft-liche untersuchungen zum neuen testament 199 mohr siebeck Germany 2006, p. 1 and 14.

ذات طابعٍ رُؤيويٍّ، وقد بدا هذا الطّابع الرُّؤيويّ أكثر ظهورًا وجلاء في سِفر "دانيال"، الّذي اعتُبر رُؤيا العهد القديم لِما تَضَمَّنَهُ من رُؤى كشفيّة رمزيّة.

والنّصوص الرؤيويّة إجمالا نصوص لها خصائصها الفنّيّة الّتي تميّزها عن غيرها من النّصوص، ولذلك شكّلت أدبًا متميّزًا عُرف بالأدب الرّؤيويّ أو الجليانيّ. وإنّ أبرز ما يميّز الكتابات الرّؤيويّة إن لم نقل جُلّها أنّها تأتي بأسماء مُستعارة لأشخاص مشهورين في العهد القديم لتكتسي طابع القداسة والمِصداقيّة لدى العامّة.كما تتميّز بجملة من الخصائص الأخرى لعلّ أهمّها الكشف والإعلان والجليان وكذلك الرّمزيّة والصّعود إلى السّماء والثّنائيات الكونيّة، وأيضا النّهيويّة والتّشاؤميّة[1] ، وهي في مجملها مباحث رئيسة في الفكر القباليّ وفي تجربة الكشف الصّوفيّ لدى القابّالاه وإنّ هذا يدفعنا إلى التّساؤل: هل أثرت النّصوص الرُّؤيويّة بمضامينها الكشفيّة والجليانيّة في تجربة الكشف الصّوفيّ عند القابّالاه؟

2- الجليان الرّؤيويّ وأثره في الكشف الصّوفيّ القباليّ

لما كانت الرّؤيا في اليهوديّة تعني وحيًا إلهيًّا يحصل عليه الرّائي غالبًا خلال رؤيا ليليّة أو حلم أو رحلة سماويّة يختطف فيها إلى عالم الألوهة صحبة ملاك يُرافقه لتفسير الأسرار المُعلنة في رُؤياهُ، ولما كانت النّصوص الرّؤيويّة نصوصا تدّعي كشف أسرار تنتمي إلى عالم السّماويّات، أسرار تدور بمجملها حول أحداث مستقبليّة تخصّ الكون والتّاريخ البشريّ وتطوّره حتّى نهاية الأزمنة [2]. لما كانت كذلك فإنّ أعناق القباليين قد اشرأبت إليها فنهلوا من مضامينها وأفادوا منها في تجربة الكشف الصّوفيّ عندهم، فلقد تأثّروا بالأفكار الرُّؤيويّة، وثمّة في الواقع شواهد كثيرة تؤكّد هذا التّأثّر.

1- Morris, Leon Lamb : Apocalyptic, Inter-Varsity press, 1973, 2nd edition, p. 34-63.

2- Dictionnaire critique de théologie, publié sous la direction de Jean Yves Lacoste Quadrige ; PUF ; 2007, 3eme édition, p.85.

وانظر أيضا:

- Collins, John, J : The apocalyptic imagination: an introduction to Jewish Apocalyptic literature, p.5.

أوّل هذه الشّواهد المشترك الموضوعيّ، فالمواضيع الأساسيّة الّتي يُعالجها الفكر القباليّ في كتاباته مثل "سيفر هيخلاوت" (كتاب الهياكل) و"مدراش كونين" (التّفسير الصّحيح) و"شعور قوما" (رفعة الشّأن). الّتي تصف عالم أو مركبة العرش الإلهيّ وعالم الملائكة (1)، وهي مواضيع رُؤيويّة تكرّر ذكرها في النّصوص الرّؤيويّة اليهوديّة المبكّرة قانونيها وأبوكريفيها. فالموضوع المركزيّ في الفكر القباليّ مثلا هو ما يُعرف بفلسفة "المركباه" "Merkaba" أو مركبة العرش الإلهيّ، وهو موضوع رُؤيويّ مُستوحى من رُؤيا "حزقيال" (2) للعرش السّماويّ (3)(4)..

أمّا الأمر الثّاني الّذي يؤكّد أثر الإعلان والجليان الرُّؤيويّ في الكشف الصّوفيّ القباليّ فهو أنّه مصدر تسمية كتابهم المقدّس "الزّوهر" أو "الزّوهار" (5)، فإنّ هذه الكلمة تعني بالعِبريّة "النّور" أو "الضّياء"، وهي تسمية مأخوذة من سفر "دانيال": "وَالْفَاهِمُونَ يَضِيئُونَ كَضِيَاءِ الْجَلَدِ" (6)، خاصّة وأنّ القباليّين عدّوا أنفسهم نخبة من الفاهمين والعُقلاء الّذين تداولوا فيما بينهم معارف سرّيّة باطنيّة ولدنّية ظلّت مقصورة عليهم كنخبة مختارة

---

1 – الشّامي رشاد عبدالله: موسوعة المصطلحات الدّينيّة اليهوديّة، ص 130. (وأيضًا: الحفني عبد المنعم: موسوعة فلاسفة ومتصوّفة اليهوديّة، ص 173).

2 – راجع الإصحاح الأوّل من سفر حزقيال.

3 – وردت رؤيا العرش السّماويّ في كثير من النّصوص والأسفار الرّؤيويّة كرُؤيا إبراهيم ورُؤى إشعياء ورُؤى أخنوخ وغيرها.

راجع مثلا سفر إشعياء: 1/6-3.("فِي سَنَةِ وَفَاةِ عُزِّيَّا الْمَلِكِ، رَأَيْتُ السَّيِّدَ جَالِسًا عَلَى كُرْسِيٍّ عَال وَمُرْتَفِعٍ، وَأَذْيَالُهُ تَمْلأُ الْهَيْكَلَ. السَّرَافِيمُ(وَاقِفُونَ فَوْقَهُ، لِكُلِّ وَاحِدٍ سِتَّةُ أَجْنِحَةٍ، بِاثْنَيْنِ يُغَطِّي وَجْهَهُ، وَبِاثْنَيْنِ يُغَطِّي رِجْلَيْهِ، وَبَاثْنَيْنِ يَطِيرُ . وَهذَا نَادَى ذَاكَ وَقَالَ: «قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ رَبُّ الْجُنُودِ. مَجْدُهُ مِلْءُ كُلِّ الأَرْضِ»").

4 – Michel Albin : Dictiontionnaire du Judaîsme, p. 432.

5 –الزّوهر: كلمة آراميّة معناها النّور والضّياء، ويمثّل الزّوهر إحدى الكتابات القباليّة وقد دوّنه أو جمع نصوصه موسى اللّيوني (1250-1305م) في إسبانيا، ويرى بعض الباحثين أنّ نصوص هذا السّفر أو الكتاب تعود إلى القرن 2م مع سمعان بن يوشاي.(حسيبة، مصطفى: المعجم الفلسفيّ، دار أسامة للنّشر والتّوزيع، عمّان الأردن، ط.1، 2009م، ص 491، والحفني عبد المنعم: موسوعة فلاسفة ومتصوّفة اليهوديّة، ص 173).

6 – دانيال: 3/12.

[1]، والواقع أنّ المواضيع والمباحث الرُّؤيويّة المضمّنة في كتاب "الزّوهر" كافية لبيان العلاقة المتواصلة بين الرّؤيويّة و"القابّالاه" في جميع أشكالها الأساسيّة[2].

الأمر الثّالث هو أنّ "القابّالاه" لعِبت دورًا مهمًّا في تطوّر العقل اليهوديّ من خلال طابعها التّأمّليّ الكونيّ، فقد حاول القباليّون البحث في الأسرار الإلهيّة المتعلّقة بالكون والفلك ومصير الإنسان، وهي مباحث علميّة رؤيويّة أتى عليها أوّل نصّ رُؤيويّ يهوديّ معلوم وهو كتاب "أخنوخ الأوّل" الّذي يعود إلى القرن 3 ق.م. فالجزء الثّالث من هذا الكتاب الّذي يقود فيه الملاك "أورئيل" النّبيّ "أخنوخ" في رحلة سماويّة، يصوّر له فيها الكون والأجرام السّماويّة والشّمس والرّياح والقمر وقانون حركتها والنّظام الّذي يضبطها وطريقة حساب كلّ ذلك، هذا الجزء يمثّل أوّل ظهور لعلم الفلك والرّياضيّات في الأدب الرُّؤيويّ اليهوديّ[3] .لذا فقد تأثّر القباليون كثيرا بهذا السّفر وسائر الأسفار الأخنوخيّة الأخرى، الّتي يمكن العنونة لها بالرّحلات الأخنوخيّة السّماويّة.

وجه آخر من وُجوه تأثير الرّؤيويّات في تجربة الكشف الصّوفيّ القباليّ نجده في الفكرة "المشيحانيّة"، فقد كانت للقابّالاه توغّلات صوفيّة أسطوريّة باطنيّة تدور حول فكرة واحدة وأساسيّة هي فكرة التّطلّع إلى ظهور"المسيح اليهوديّ المخلّص المُنتظر" ، لذلك كانت الحركات المشيحانيّة دائمًا ما ترتبط بالتّصوّف الحلوليّ وتراث القابّالاه الّذي ينطلق من رُؤية كونيّة تُلغي الفوارق والحدود التّاريخيّة بين الأشياء" [4].

وقد برزت النّزعة "المشيحانيّة" في العرفانيات القباليّة أكثر ما برزت في "إسبانيا" خلال القرنين الثّاني عشر والثّالث عشر للميلاد، خاصّة بعد ظهور كتاب "الزّوهر" الّذي مثّل قوّة روحيّة جدّدت الأمل المسيانيّ الخلاصيّ الرّؤيويّ في نفوس القباليين، حتّى بلغ

---

1 – سوسة، أحمد: أبحاث في اليهوديّة والصّهيونيّة، دار الأمل للنّشر والتّوزيع، الأردن، 2003م، ص 13-14.

2- The Encyclopedia of Apocalypticism, Edited By Bernard Mc Ginn, The Continuum Publishing Group, Usa, 2000, 2/207.

3- Sanders Seth : Apocalyptic Science, (The Apocalypse Issue), Ags Perspctives (The Magazine Of The Association For Jewish Studies), 2012, P. 16.

4 – المسيري، عبد الوهّاب: موسوعة اليهود واليهوديّة والصّهيونيّة، 295/5.

الأمر ببعضهم – من خلال ضرب من الحسابات الشفريّة – حدّ التّنبّؤ بموعد ظهور المسيح اليهوديّ المخلّص المنتظر [1]. بل وأعلن القباليّ اليهوديّ "إسحاق لوريا" (1534-1572م) [2] لاحقا في القرن 16م نفسه مسيحًا مخلّصًا في بداية العصر الحديث ليأتي بعده قبالي آخر هو "شبتاي تسفي" (1626-1767م) ويُعلن نفسه أيضًا المسيح المنتظر لليهود[3].

وفي الحقيقة إنّ الاهتمام بالرّؤيويّات منطلقا للكشف الصّوفيّ في البيئة القباليّة ظلّ مستمرا إلى حدود القرن 20م، فنجد على سبيل المثال القباليّ وعالم الفلك المسيحيّ "François Bernard termes" أو "Haziel"[4]، كما يسمّي نفسه في كتاباته، يهتمّ كثيرًا بعلم الملائكيّات(Angelology) الّذي هو من المواضيع الرّئيسة في النّصوص الرُّؤيويّة، كما أولى أيضًا اهتمامًا خاصّا بسفر الرُّؤيا بمضامينه الجليانيّة والإعلانيّة من خلال تفسيره وشرحه على الطّريقة القباليّة، فقد صنّف في ذلك كتابًا[5] ركّز فيه على الأنجيلولوجيا الرّؤيويّة ومركزيّتها في الكشف الصّوفيّ والخلاص الإنسانيّ في بعده الكونيّ[6].

---

1 – عبد الحميد هشام كمال: موعد السّاعة بين الكتب السّماويّة والمتنبّئين،، [د.ن]، 1998م. ص 46.

2 – أرسى هذا القاباليّ اليهوديّ شكلاً من أشكال "القابّالاه" ظلّ يحمل اسمه فيما بعد (القابّالاه اللّوريانيّة).

3 – أرمسترونغ كارين: معارك في سبيل الإله الحركات الدّينيّة الأصوليّة في اليهوديّة والمسيحيّة والإسلام، ترجمة فاطمة نصر ومحمّد عناني، دار سطور الجديدة، القاهرة، ط.1، 2000م، ص28. وأيضًا: المسيري، عبدالوهّاب: موسوعة اليهود واليهوديّة والصّهيونيّة، 300/5.

4 – كان أستاذا للّغة الإسبانيّة وللفلسفة بمعهد "Charlemagne" بـ "إسبانيا" من سنة 1964م إلى سنة 1980م، وهو سليل أسرة من يهود "المارانو" الّذين تنصّروا. راجع الموقعين التّاليين:

– http://www.associationhaziel.info.

- http://www.babelio.com/auteur/Haziel/33788.

5: الكتاب بعنوان -

- «Interprétation Kabbalistique de l’Apocalypse les Anges conducteurs au nouveau Paradis».

6 – راجع في جملة هذه المُعطيات الموقعين التّاليين:

– http://www.associationhaziel.info.

- http://www.babelio.com/auteur/Haziel/33788.

الخاتمة

إنّ جملة ما قدّمناه يبيّن برأينا –ولو بقدر بسيط– تأثّر تجربة الكشف الصّوفيّ عند "القابّالاه" اليهوديّة بالنّصوص الرُّؤيويّة وخاصّة مضامينها الجليانيّة الّتي وجدت لها مكانًا في الفكر والكشف الصّوفيين القبالييْن، فأغلب المباحث الرّؤيويّة المتعلّقة بالسّماويّات واالملائكيّات وحتّى الأرضيّات كانت حاضرة فيهما بقوّة، كما كان لهذه المباحث أيضا أثر كبير في تشكيل الوعي الصّوفي القبالي بالعالم والأرض والحياة والأخرويات والخلاص الكونيّ.

أهمّ النتائج:

- الكشف مفهوم مركزيّ في التّجربة الصّوفيّة عموما وفي التّجربة الرّوحيّة القباليّة خصوصا.
- تعتبر النّصوص الرّؤيويّة بخصائصها المتنوّعة – والّتي من أبرزها "الكشف والجليان والإعلان"– رافدا مهما من روافد تجربة الكشف الصّوفي عند القابّالاه اليهوديّة.
- هناك تقاطع كبير في المباحث النّظريّة والتّأمليّة والغنوصيّة بين الرؤيويين والقابّاليين.
- استلهمت تجربة الكشف الصّوفيّ اليهوديّة القابّاليّة من النّصوص الرّؤيويّة أهمّ الموضوعات الجليانيّة كموضوع العرش السّماويّ أو مركبة الربّ أو المركابا الّتي هي موضوع رئيس في الأدب القباليّ. وكذلك موضوع الإسكاتولوجيا والخلاص الّذي تمثّل بعقيدة الماشيحانيّة في القابّالاه اللّوريانيّة.

قائمة المراجع:

العربيّة:

- أرمسترونغ كارين: معارك في سبيل الإله الحركات الدّينيّة الأصوليّة في اليهوديّة والمسيحيّة والإسلام، ترجمة فاطمة نصر ومحمّد عناني، دار سطور الجديدة، القاهرة، ط.1، 2000م.
- حسيبة، مصطفى: المعجم الفلسفيّ، دار أسامة للنّشر والتّوزيع، عمّان الأردن، ط.1، 2009م.
- الحفني، عبد المنعم: موسوعة فلاسفة ومتصوّفة اليهوديّة، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط.1، 1994م.
- سوسة، أحمد: أبحاث في اليهوديّة والصّهيونيّة، دار الأمل للنّشر والتّوزيع، الأردن، 2003م.
- الشّامي رشاد عبد الله: موسوعة المصطلحات الدّينيّة اليهوديّة، المكتب المصريّ للتّوزيع والمطبوعات، القاهرة، 2002م.
- شيمل آنا ماري : الأبعاد الصّوفيّة في الإسلام وتاريخ التّصوّف، ترجمة محمّد إسماعيل السيّد ورضا حامد قطب، منشورات الجمل، كولونيا (ألمانيا)- بغداد، 2006م.
- عبد الحميد هشام كمال: موعد السّاعة بين الكتب السّماويّة والمتنبّئين،، [د.ن]، 1998م.
- العجم رفيق: موسوعة مصطلحات التّصوّف الإسلاميّ، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان. ط1، 1999م.
- المسيري، عبد الوهّاب: موسوعة اليهود واليهوديّة والصّهيونيّة، دار الشّروق، القاهرة، ط.1، 1997م.

الأجنبيّة

- Aune David Edward : apocaypticism, prophecy and magic in early Christianity, wissenscahft-liche untersuchungen zum neuen testament 199 mohr siebeck Germany 2006.

- Collins, John, J : The apocalyptic imagination: an introduction to Jewish Apocalyptic literature, the biblical resource series, WM. B. Eerdmans, publishing CO grand rapids/ Cambridge UK, 1998, 2 nd edition.
- Declor, Mathias : Les apocalypses juifs ; berg international éditeurs, Paris, 1995.
- Dictionnaire critique de théologie, publié sous la direction de Jean Yves Lacoste Quadrige ; PUF ; 2007, 3eme édition.
- Introduction a l'ancien testament, collection dérigé par Thomas Römer, Jean Daniel Macchi et Christophe Nihan, Editions Labor et Fides, Genève, 2009.ذMichel Albin: Dictionnaire du Judaïsme, Paris, 1998.
- Morris, Leon Lamb : Apocalyptic, Inter-Varsity press, 1973, 2nd edition.
- Robert S. Ellwood |Gregory D. Alles: The Encyclopedia Of World Religions Revised Edition Facts On File, Inc. An Imprint Of InfoBase Publishing New York Copyright © 2007, 1998 by DWJ BOOKS LLC.
- Sanders Seth : Apocalyptic Science, (The Apocalypse Issue), Ags Perspectives (The Magazine Of The Association For Jewish Studies), 2012.
- The Encyclopedia of Apocalypticism, Edited By Bernard Mc Ginn, The Continuum Publishing Group, Usa, 2000.
- The Oxford Dictionary of the Jewish Religion, Oxford University Press, USA, 2011, 2nd Edition.

المواقع الإلكترونيّة على الشّبكة العنكبوتيّة

- - http://www.associationhaziel.info.
- - http://www.babelio.com/auteur/Haziel/33788.

الأقراص اللّيزريّة:

- برنامج الكتاب المقدّس، إصدار سنة 2010م.